الطلاب قد نجحوا في فتح البوابات، كتلة راكضة تندفع إلى الشارع تقصد عبوره. . سيارات الإطفاء توجه خراطيمها يميا ويسارا، تُخلخل الحشد بالماء. لا أدري كيف استطعت الحركة دون أن أنزلق أو أصطدم بأحد، عدستا النظارة مبللتان تماما، تكاد قوة الماء وشدة اندفاعه تفقداني توازني. تمكنت من الوصول إلى جانب من سور الجامعة. الماء يتقاطر من شعري المبلل على عدستي نظارتي المبتلتين فيزيدها تعبيسا. جففت وجهي وضحكت، لا أدري لماذا ضحكت، ضحكت بصوت عال. تطلعت لي امرأة خمسينية تتحدث في هاتفها المحمول. أنهت المكالمة وقالت لي بشكل أليف وهي تبتسم: «الأولاد عبروا الشارع باتجاه كوبري الجامعة، والجنود يضربونهم بالقنابل المسيلة للدموع وبالماء لمنعهم من الوصول إلى السفارة الإسرائيلية، وأولاد المدرسة السعيدية يواجهون معركة مماثلة هناك!» أشارت بيمينها إلى الطريق المؤدية لميدان الجيزة. سألتني إن كنت جئت إلى المظاهرة وحدي. شعرت بالدماء تصعد إلى رأسي. قلت: «نعم جئت وحدي!» انتبهت لحدة نبرة صوتي فواصلت الكلام قاصدا أن أبدو أهدأ. «جئت وحدي، لمحت حفيدتي بين الطلاب، لا ألمحها الآن، يبدو أنها. . .»، قاطعتني: «دقيقتان ثم أعود». رأيتها تهرول في اتجاه طفل يحمل حقيبته على ظهره، ربما كان في التاسعة من عمره، رأيتها تحدثه ثم تمسك بيده، ثم اختفت في الزحام. لم تظهر بعد دقيقتين. نظرت في الساعة. أين ذهبت شهرزاد؟ لم تظهر المرأة. لا بد أن الصغير حفيدها. هذه السيدة حمقاء، لماذا أتت بحفيدها؟ رأيتها تقترب في اتجاهي، أين ذهب الولد؟ اقتربت، لاحظت احتقان وجهها، قالت: «اشتبكت مع الجنود. رأيتُ الصغير، هل رأيته؟ لمحت وجهه. كان يبكي. ذهبت إليه وسألته. قال إنه في طريق عودته من المدرسة وإن بيته في هذا الاتجاه، أشارت بيدها جهة اليمين، كان الولد خائفا لا يعرف كيف يعود إلى البيت. أخذته وقلت لأحد الجنود اسمح لي بالمرور لكي أوصله لنقطة آمنة. قال لي: ابعدي يا ماما، قلت: هذا ولد صغير ووجد نفسه محاصرا في هذا المكان. كرر العسكري العبارة وقال: